البناء
السنة السابعة / الثلاثاء / 2 شباط 2016 / العدد 1995
Seventh year / Tuesday / 2 February 2016 / Issue No. 1995

التحريض ضدّ بوتين مستمر بغية إجهاض السلام في سورية

السلام في سورية ممنوع، أما المسموح، فاستمرار دعم التنظيمات الإرهابية لتقتل وتذبح وتسرق وتنهب وتفعل ما تمليه عليها رجعيّتها وظلاميتها، كي تبقى المنطقة كتلة نار مشتعلة. هذا باختصار ما يريده الغرب. فما إن تتقدّم المحادثات في شأن السلام قيد أنملة، حتّى تظهر العراقيل من هنا وهناك. تارةً عبر الإعلام الغربي المشحون شرّاً، وطوراً عبر السعوديين المملوئين حقداً.

أما الجديد ـ القديم، فالتحريض ضدّ روسيا، وهذه المرة جاء على لسان الصحافة البريطانية، وتحديداً صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، التي قالت في مقالها الافتتاحي أمس، إن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين يريد إلقاء القنابل في سورية وإجراء المحادثات في جنيف. وأضافت أن روسيا تستعمل قمة السلام في سويسرا غطاءً لحربها في سورية. وأشارت إلى أنه بينما كان يُجرى التحضير لاستقبال الوفود المشاركة في محادثات جنيف، أغارت المقاتلات الروسية على منطقة الشيخ مسكين في سورية، فقتلت المئات من المدنيين ومن عناصر «المعارضة المسلّحة» التي يدعمها الغرب. وقالت أيضاً إنه منذ أن بدأ بوتين غاراته على سورية، كان حريصاً على إبادة جميع الفصائل المسلّحة باستثناء تنظيم «داعش»، والميليشيا الموالية للنظام السوري. وأضافت أن روسيا ليست المفسد الوحيد في سورية.

وفي سياق الحديث عن المنطقة، تطرّقت صحيفة «نيزافيسيمايا غازيتا» الروسية إلى الأوضاع في المنطقة العربية بعد «الربيع العربي»، مشيرة إلى أن هذا سبقه زرع القيم الغربية في العراق بالقوّة. وقالت الصحيفة إنّ «الربيع العربي» بدأ قبل خمس سنوات من تظاهرات عفوية في ميدان التحرير في القاهرة، ولكن يجب ألا ننسى أنّ الحملة الأميركية في العراق التي أطاحت بنظام صدّام حسين سبقت «الربيع العربي» وكسرت الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة. وهذا بالذات تسبّب في تدفق اللاجئين من هذه المنطقة إلى أوروبا. واعتبرت الصحيفة أنّ مشكلات الهجرة، من أكبر الأزمات التي واجهتها أوروبا حدّة وتضع على المحك فكرة أوروبا الموحدة.

صحافة عبريّة

هرتزوغ: على نتنياهو ويعالون تدمير أنفاق غزة

دعا زعيم «المعارضة الإسرائيلية» إسحق هرتزوغ، كلًا من رئيس الحكومة «الإسرائيلية» بنيامين نتنياهو ووزير حربه موشيه يعالون إلى شنّ حرب على الأنفاق الفلسطينية على حدود قطاع غزّة.

وقال هرتزوغ في تصريحات نقلها موقع «والـلا» العبري، إنه على نتنياهو ويعالون إعطاء الجيش «الإسرائيلي» الأوامر ببدء تدمير أنفاق غزّة وعدم انتظار الفصائل الفلسطينية حتى تبدأ هجماتها.

وانتقد زعيم «المعسكر الصهيوني» سياسة نتنياهو في التعامل مع أنفاق الفصائل الفلسطينية على حدود قطاع غزّة، وتساءل: «لماذا الانتظار؟ أننتظر حتى يخرج الفلسطينيون ومعهم السلاح على أيّ كيبوتس أو مستوطنة؟».

وأضاف: «على نتنياهو ويعالون إجابة الإسرائيليين على مخاوفهم، ويجب أن يكونوا واضحين معهم، لا بل يجب إعطاء الجيش الأوامر لتدمير تلك الأنفاق، والقضاء على هذا التهديد».

«إسرائيل» تسير نحو الفاشية

كتب إيريس ليعال في صحيفة «هآرتس» العبرية:

حول سؤال في أيّ نقطة يتم تجاوز الحدود وحينما يتحوّل الأمر المحتمل إلى غير محتمل، هناك إجابات عدّة. حدود الألم تتغيّر من مجتمع إلى مجتمع ومن إنسان إلى إنسان. الشعب اليهودي تعرّض للمعاناة على مدى السنين إلى أن تفاقمت هذه المعاناة في القرن العشرين. ومع ذلك، فقد بقي. ألمانيا قرّرت أنه من قعر البئر التي وصلت إليها، ستخرج أكثر حكمة وأكثر حذراً وأكثر استعداداً. والدليل على ذلك ما كتبه أحد الكتّاب المشهورين فيها، توماس مان: «الشخص الذي يعتقد أنه ولد ألمانياً لا يمكنه القول أنا ألمانيا الجيدة والعادلة... كل شيء يوجد في داخلي وكل شيء جربته على جلدي».

هذا هو الكنز الروحاني الذي يعني أنه في كلّ مرحلة يجب مراقبة الحيوان الفاشي العجوز.

الأمر الغريب أنه بالذات في «أرض الشعب اليهودي»، يسمحون لهذا الحيوان برفع رأسه. ولست أنا الذي أنتمي إلى معسكر اليسار أقول ذلك، بل يقوله عضو «الكنيست» بني بيغن الذي هو من ارستقراطية حزب السلطة. وهو يقوله علناً وبطريقة لا تحتمل تفسيرين. فبيغن اعتبر أننا أمام «ذروة جديدة من الفظاعة». وقال بوضوح كلمة «فاشية» وطلب التحقيق في كيفية السماح بذلك.

يمكن القول إن بيغن يعرف أن بداية العملية تتعلق بالكشف عن مفهومين مختلفين: اليساري يساوي الخائن. وأن هذه الهوية بادر إليها وحفظها كلّ من رئيس الحكومة ووزيرة العدل ووزير التعليم ووزيرة الثقافة، بمرافقة جوقة «الكنيست». لذلك، فإن الأمر الوحيد الذي يمكن فعله الآن إنشاء اقتران فعال: وسم جمعيات حقوق الإنسان، تجنيد الفنّ من أجل دعاية السلطة وتخويف المثقفين وتشويش التاريخ في كتاب المدنيات المخصّص للمدارس. والوسائل تلك كلّها فاشية.

ومن أجل تغيير اتجاه السفر قبل الهاوية، يجب الطلب من كلّ عضو «كنيست» لا يتضامن مع هذه الأعمال أن يسمّيها باسمها. وبعد ذلك إبداء التحفظ منها. هل تذكرون دعوة «كونوا كحلوتيين»؟ على المُشرّعين وأعضاء الحكومة أن يكونوا مثل بني بيغن. ألّا يفقدوا الحكمة. عليهم القول بفم ملآن إنه تم تجاوز الحدود وكفى.

البحث الطبي يشير إلى أن التحمل السلبي خطر كبير. فمعروف أنه إذا بدأ التلوّث في الجسم وأعطيت المضادات الحيوية بكمية غير ملائمة خلال فترة قصيرة، فإنّ الجراثيم تطوّر قدرة على مواجهة الدواء. لهذا، فإن اعتذار «إن شئتم» يشبه وقف العلاج في منتصف الطريق. إن افتتاح فصل الاحتجاجات الصغيرة يشبه العلاج بكمية غير ملائمة. وأسوأ من ذلك، إذا وافقنا على تملص بنيامين نتنياهو وإيليت شاكيد ونفتالي بنيت من «إن شئتم»، فنحن بهذا نسمح للتلوث بالانتشار في جسمنا.

ومن أجل منحهم الدور التاريخي الملائم، يجب علينا أن نأخذ منهم ومن ميري ريغف فرصة إحداث الثورة التشريعية والايديولوجية التي بدأوا فيها وتحويلهم إلى مرحلة في ديناميكية تطوّرنا الأخلاقي كمجتمع. هذه المرحلة تغلبنا عليها وبفضلها ازدادت قوتنا. لأننا أعلنّا الحرب الشاملة على الحيوان الفاشي حينما استيقظ وبدأ يتثاءب.

مبادرة السلام الفرنسية فخّ لنتنياهو

كتب بن درور يميني في صحيفة «يديعوت أحرونوت» العبرية:

منذ سنوات، ومبادرات السلام والمسيرة السلمية مجرّد إضاعة للوقت: خطوات عابثة ترمي إلى إرضاء رغبات المبادرين وصنّاع السلام. والنتيجة معروفة مسبقاً. المحادثات تتفكك. القصة الوحيدة المتبقية في الميدان هي لعبة اللوم «Blame Game».

مبادرة وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس ليست أكثر من خطوة عابثة أخرى. لقد كان فابيوس رئيس وزراء، ولكن مكانته تآكلت، لا سيما الانعطافة الحادة يساراً في العقد الأخير. فالرئيس فرانسوا هولاند أنقذه من غرق عميق بتعيينه في المنصبة الاعتباري. ويفترض بفابيوس أن يترك منصبه قريباً. فهل تذكّر الآن؟ يخيّل أنه أراد أن يخلّف وراءه شيئاً ما، وهكذا ألقى إلى الهواء بمبادرة مؤتمر السلام. وهو يهدّد بأنه إذا لم يحصل هذا، فإنّ فرنسا ستعترف بدولة فلسطينية.

ادّعاء اليمين محق: إذا كانت النتيجة معروفة مسبقاً، وفرنسا تعتزم الاستجابة للطلب الفلسطيني، فإن هذه لعبة مباعة. ليس هكذا يتم التقدّم في السلام. هكذا يتم تعزيز الرفض الفلسطيني. وبشكل عام، فإن كل الفكرة التي تقبع في أساس الحملة الفلسطينية للاعتراف بالدولة هي تحصيل حاصل للرفض الفلسطيني للسلام والقائم على أساس الدولتين للشعبين. الفلسطينيون مستعدّون لدولتين، ولكن لا لشعبين. وكان مطلبهم المركزي ولا يزال حق عودة واسع. بتعبير آخر، الحق في تصفية حق الشعب اليهودي في تقرير المصير في دولة خاصة به.

رغم ذلك، ينضمّ ردّ نتنياهو إلى مسيرة السخافة. لأنه عندما يرفض مبادرة سلام ما، فإن «إسرائيل» تتحمل مسؤولية الفشل. وما يتبقى من المبادرة علامة طريق صغيرة أخرى في كتب التاريخ والتي سيكتب فيها: كانت مبادرة، و«إسرائيل» قالت لا، بينما قال أبو مازن نعم. وهذا بالطبع تبسيط يشوّه الصورة، ولكن نتنياهو يعرف، ولا بدّ أنه يفترض أن يعرف، أن هذه ستكون النتيجة. لقد أعدّ له فابيوس فخاً، ربما بالتعاون المسبق مع أبي مازن، ونتنياهو يلعب بالضبط الدور المخصّص له: رافض السلام.

بعد عقدين من المفاوضات وعدد لا حصر له من المبادرات واللقاءات، فإن كل من لديه عينين في رأسه يعرف أنه لا حاجة لمؤتمر سلام آخر. ثمة حاجة لخطة سلام. وهي معروفة مسبقاً. في نهاية المطاف ستكون في مكان ما هناك في منطقة صيغة كلينتون. فالوضع الجغرافي السياسي، وكذا أيضاً حقيقة أن «حماس» تسيطر في القطاع ومن شأنها أن تسيطر في الضفة يستوجب توافقات تمنع سيطرة «الجهاد» (وحماس هي جزء من الجهاد). وتتضمّن المبادئ المعروفة إقامة دولة فلسطينية على قدر أكبر بقليل من 90 في المئة من المناطق، إبقاء الكتل الاستيطانية، تقسيم القدس على الأساس الديمغرافي الحالي وحلّ مشكلة اللاجئين من دون حق عودة إلى داخل «إسرائيل».

غير أنه لا أمل في تحقيق هذه الخطة، لأن الفلسطينيين أبعد عنها مما هي «إسرائيل». فقد رفع الخطة للفلسطينيين بيل كلينتون، إيهود أولمرت، باراك أوباما وجون كيري. أما هم، فكانوا دوماً يقولون: لا. تحفظات «إسرائيل» على صيغة كيري في 2014 كانت أقلّ من الرفض الفلسطيني المطلق.

«نيزافيسيمايا غازيتا»: الديمقراطية لا تؤدّي دائماً إلى التهدئة

تطرّقت صحيفة «نيزافيسيمايا غازيتا» الروسية إلى الأوضاع في المنطقة العربية بعد «الربيع العربي»، مشيرة إلى أن هذا سبقه زرع القيم الغربية في العراق بالقوّة.

وجاء في المقال: بدأ «الربيع العربي» قبل خمس سنوات من تظاهرات عفوية في ميدان التحرير في القاهرة، ولكن يجب ألا ننسى أنّ الحملة الأميركية في العراق التي أطاحت بنظام صدّام حسين سبقت «الربيع العربي» وكسرت الأنظمة الدكتاتورية في المنطقة. وهذا بالذات تسبّب في تدفق اللاجئين من هذه المنطقة إلى أوروبا.

يمكن اعتبار مشكلات الهجرة أكبر الأزمات التي واجهتها أوروبا حدّة وتضع على المحك فكرة أوروبا الموحدة. ومع أن مشكلة السياسة الأوروبية في شأن الهجرة قد صيغت في معاهدة أمستردام عام 1999 ، إلا أن النظرية أمر والتطبيق أمر آخر.

زعماء أوروبا يميلون إلى تسوية المشكلات الآنية لا إلى التعمق في دراسة أسباب الأزمة لمنع تكرارها مستقبلاً، إذ يعتبرون أن سببها أعمال بشار الأسد ومسلحي «داعش»، لأنهما تسببا في هجرة أكثر من ثلاثة مليون مواطن سوري إلى تركيا. كما يجب أن نضيف إلى هذا الرقم 2.8 مليون مواطن أفغاني تركوا بلادهم بسبب استمرار الحرب الأهلية. كما يوجد بين المهاجرين مواطنون من ليبيا حيث نشبت الحرب الأهلية أيضاً. يضاف إلى هؤلاء مهاجرون من منطقة البلقان وشمال أفريقيا.

وكان زيغمار غابرييل نائب مستشارة ألمانيا آنجيلا ميركل قد أعلن في مؤتمر ماينز المكرّس لوضع استراتيجية العمل للحزب الاشتراكي الديمقراطي الألماني، أن ألمانيا استقبلت عام 2015 أكثر من مليون لاجئ وأن هذا العدد لن ينخفض في عام 2016. كما أن الملياردير الأميركي جورج سورس، نصح بوضع خطة مارشال جديدة لإنقاذ أوروبا.

يمكننا أن نتساءل: هل ستساعد هذه الخطة أوروبا وأن تتحوّل إلى ما يشبه مكافحة طواحين الهواء؟ لأننا لا نعلم أين ومتى ستبدأ أزمة سياسية، تسبب موجة هجرة جديدة إلى بلدان المناطق المزدهرة.

بحسب وسائل الاعلام الألمانية، أسباب الهجرة إلى أوروبا يمكن تلخيصها بالتالي: أولاً، الناس يهربون من البلدان التي يسود فيها حكم القوة والتسلط، لذلك فقط الديمقراطية يمكنها إعادة هذه البلدان إلى حظيرة البلدان المتحضرة؛ ثانياً، محاولة فرض النموذج الغربي للديمقراطية تسبب في هذه الفوضى وملايين اللاجئين.

تشير صحيفة «Tagesspiegel» الألمانية في موضوع مكرّس لهجمات باريس التي وقعت في تشرين الثاني 2015 إلى أن الرئيس الأميركي جورج بوش الابن أعلن قبل عدّة أسابيع من صدور الأوامر بغزو العراق عام 2003، أن العراق سيتحوّل إلى «منارة للديمقراطية في الشرق الأوسط» ما إن تتم الاطاحة بصدّام.

سؤال آخر يطرح نفسه: هل هذه سذاجة عند زعماء الغرب أم هي ببساطة خطة عمل؟

تبيّن أن الاثنين معاً. فاستناداً إلى هذا تثير الاهتمام نتائج الدراسة التي أجراها علماء جامعة أوهايو الأميركية المنشورة في أيلول 2015 والمتضمنة تحليل أسباب النزاعات الدولية خلال 50 سنة (1948 – 2000). فقد استنتجوا أن مفهوم «العالم الديمقراطي» غير موجود في الطبيعة. وأنّ هذا المفهوم ما هو إلا نظرية منتشرة حول ضعف احتمال قيام نزاعات عسكرية بين الديمقراطيات.

بدأت الدراسة من فكرة الفيلسوف كانط التي كان قد طرحها عام 1795 حين قال: يمكن للعالم أن يتمتع بالسلام الأبدي، إذا ما ارتبطت بلدان العالم بثلاثة عناصر: دول ديمقراطية، تبادل اقتصادي وعضوية في المنظمات الحكومية والدولية. وقد تبين ان العلاقات التجارية والعضوية في المنظمات الدولية تلعب دوراً مهماً في تدعيم السلام بين البلدان. ولكن ليس الديمقراطية. لأن «العالم الديمقراطي» لا يمكنه أبداً منع نشوب نزاعات دولية، على رغم أنّ رؤساء الولايات المتحدة أكدوا أنّ «العالم الديمقراطي» بالذات مهم لمساندة «السلام العالمي».

«فايننشال تايمز»: بوتين يريد الحرب في سورية والمحادثات في جنيف

نشرت صحيفة «فايننشال تايمز» البريطانية، في مقالها الافتتاحي، تقول إن الرئيس الروسي، فلاديمير بوتين، يريد إلقاء القنابل في سورية وإجراء المحادثات في جنيف.

وأضافت أن روسيا تستعمل قمة السلام في سويسرا غطاءً لحربها في سورية. وأشارت «فايننشال تايمز» إلى أنه بينما كان يُجرى التحضير لاستقبال الوفود المشاركة في محادثات جنيف، أغارت المقاتلات الروسية على منطقة الشيخ مسكين في سورية، فقتلت المئات من المدنيين ومن عناصر «المعارضة المسلّحة» التي يدعمها الغرب.

وقالت الصحيفة إنه منذ أن بدأ بوتين غاراته على سورية، كان حريصاً على إبادة جميع الفصائل المسلّحة باستثناء تنظيم «داعش»، والميليشيا الموالية للنظام السوري. وأضافت أن روسيا ليست المفسد الوحيد في سورية.

وأشارت إلى أن تركيا قلقة أكثر من تقدم الميليشيا الكردية نحو شمال سورية، وقد اعترضت على حضورها في قمة جنيف. وما يشغل بال السعودية، بحسب «فايننشال تايمز»، هو تحرّك الميليشيا الشيعية أكثر من خطر تنظيم «داعش».

وختمت الصحيفة بالقول إن بوتين يستعمل جنيف غطاءً لمواصلة هجماته، وإنه على الولايات المتحدة، بدل تخويف «المعارضة»، أن تدعم مطالبها بوقف الحكومة والقوّات الروسية الغارات على الشعب السوري.

«نيويورك تايمز»: الاستخبارات الأميركية تضلّل حتّى موظفيها

كشفت صحيفة «نيويورك تايمز» الأميركية نقلاً عن مسؤولين، أن كبار المسؤولين في وكالة الاستخبارات المركزية «CIA» ظلّوا لسنوات يتعمّدون خداع شرائح من العاملين فيها عبر بثّ مذكّرات داخلية تحتوي على معلومات مضلّلة عن عملياتها ومصادرها في الخارج.

وزعم عملاء قدامى في الوكالة، أنّ هذه الحيلة كانت نادراً ما تحدث، ووصفوها بأنها إجراء أمني مهمّ ووسيلة لحماية أسرار حيوية عن طريق بثّ رسائل كاذبة في شبكة الاتصالات الداخلية، بينما تستخدم قنوات منفصلة لتمرير المعلومات الصحيحة لمستقبليها المصرّح لهم بالاطلاع عليها.

غير أن آخرين من قدامى العملاء رأوا أن الحيلة ـ التي يُطلق عليها اسم «غسل العيون» ـ تنطوي على خطر كبير ينجم عن إساءة استخدامها.

ويقول هؤلاء إن الوكالة ـ بعيداً عمّا قد يترتب على هذه العملية من فقدان ثقة العاملين ـ تفتقر إلى آلية واضحة لتصنيف رسائل «غسل العيون» أو تمييزها عن السجلات الرسمية التي تخضع لتمحيص المفتش العام للوكالة قبل إحالتها إلى الكونغرس أو رفع صفة السرّية عنها حتى يطّلع عليها المؤرّخون.

وأماط محقّقون من مجلس الشيوخ اللثام عن حالات فاقعة لعمليات «غسل عيون» في إطار تحرّيات استغرقت سنوات عدّة في برنامج الاستجوابات التي تضطلع بها وكالة الاستخبارات المركزية.

ونسبت «نيويورك تايمز» إلى مسؤولين قولهم إن لجنة الاستخبارات في مجلس الشيوخ وقفت على تناقضات صارخة في رسائل «CIA» في شأن عملياتها السرّية، من بينها الهجمات بطائرات من دون طيار.

وأورد التقرير النهائي في نسخته المحظورة حالتين على الأقل من حالات «غسل العيون» أو التضليل التي مارستها الوكالة على بعض العاملين بها.

ووفق مسؤولين اطلعوا على التقرير، فإن إحدى الحالات تشير إلى أن المديرين في مقر «CIA» أرسلوا برقية إلى مكتبها في باكستان تفيد بأن العملاء هناك غير مخوّلين بتتبّع عملية تنطوي على خطورة بالغة ضدّ أحد قادة تنظيم «القاعدة» ويُدعى أبو زبيدة.

غير أن الوكالة أرسلت في حالة أخرى تعليمات إلى دائرة مصغّرة من عملائها أبلغتهم فيها بتجاهل البرقية الأولى، وبأنه يمكنهم المضيّ قدماً في تنفيذ المهمة المطلوبة.

وتقول الصحيفة إن المهام التي توكلها «CIA» لعملائها تتضمّن عادة القيام بعمليات تهدف إلى خداع الحكومات الأجنبية وأعدائها الآخرين. بيد أن مسؤولين أفادوا بأن «غسل العيون» عملية مختلفة في جوهرها إذ إنها تستهدف متلقّين من داخل الوكالة عبر بثّ معلومات مضلّلة لصغار الموظفين.

«كريستيان ساينس مونيتور»: المرشحون مبغوضون والناخبون حائرون!

هل الولايات المتحدة مقبلة على أزمة زعامة لم تشهد مثيلاً لها في تاريخها الحديث؟ سؤال بدأت الصحافة الأميركية تسعى إلى الإجابة عنه مع دخول حملات الانتخابات التمهيدية للحزبين الكبيرين الديمقراطي والجمهوري لاختيار مرشحيهما لخوض انتخابات الرئاسة في تشرين الثاني المقبل.

تقول صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» إنه من المحتمل، لا بل من المرجح أن تشهد انتخابات الرئاسة المقبلة تنافساً بين اثنين أو ثلاثة من أكثر المرشحين «بُغضاً» طوال نصف القرن الماضي على الأقل. ولعله من الجائز، لا بل ربما من المرجح، ألا يكون ذلك قد حدث مجرّد صدفة.

فقد أظهر استطلاع لـ«معهد غالوب» نُشرت نتائجه السبت الماضي أن مرشح الحزب الجمهوري في الانتخابات التمهيدية دونالد ترامب نال أعلى الأصوات (60 في المئة) باعتباره أكثر شخصية غير مرغوبة من أيّ مرشح رئاسي منذ أن بدأت هذه المؤسسة في تتبع الموضوع في 1992. واحتلت المرشحة المحتملة عن الحزب الديمقراطي هيلاري كلينتون المركز الثالث (52 في المئة) بعد جورج دبليو بوش ـ في عام 1992 ـ الذي حلّ ثانياً.

بعبارة أخرى، فإن انتخابات 2016 الرئاسية قد تخوضها شخصيتان غير محبوبتين سياسياً من غالبية الشعب الأميركي، حسبما نقلت «كريستيان ساينس مونيتور» عن «غالوب».

أما لماذا يمكن لهذا السيناريو أن يتحقق؟ فالإجابة عند الصحيفة أنّ تنافساً من هذا القبيل يتفق تماماً مع العصر السياسي الراهن.

ففي وقت اتخذت فيه الحزبية في الولايات المتحدة أشكالاً جديدة أكثر صرامة، بدا الأميركيون أكثر نزوعاً نحو التصويت ضدّ المرشحين بدلاً من التصويت لصالحهم. وترى الصحيفة أن كلّاً من ترامب وكلينتون يرمز إلى هذا التحوّل بطرق مختلفة، لكنهما يوجّهان خطابهما إلى الشريحة المعتدلة المتناقصة في السياسة الأميركية.

ونظراً إلى أنه لا قواسم مشتركة كثيرة بين الحزبين الكبيرين، فإن الحال نفسها تنطبق على مرشحيهما، ما يجعل الناخبين أمام خيار صارخ، فإما معارضة توجّهاتهما وإما القبول بها.

تقرير

كيف ننتصر في الحرب على الإرهاب؟

كتب هيرناندو دي سوتو* في «بروجيكت سنديكيت»:

انقضت 14 سنة منذ أعلن الرئيس جورج بوش الابن «الحرب العالمية على الإرهاب». واليوم، وبعد إنفاق 1.6 تريليون دولار أميركي على تلك الحرب، وقتل 101 زعيم إرهابي، من أسامة بن لادن إلى جون الجهادي، ما يزال الغرب معرضاً للهجوم نفسه ـ إن لم يكن أكثر من الماضي ـ من قبل الإرهابيين الذين يستطيعون تجنيد المقاتلين وضرب أيّ عاصمة غربية عملياً متى يشاؤون.

وقد أعلن رئيس آخر الآن ـ الرئيس الفرنسي فرانسوا هولاند ـ المشاركة في الحرب على الإرهاب كذلك (وهناك قادة أوروبيون آخرون). فهل أصبحت احتمالية النصر أفضل فعلاً؟ لدي شكوكي في هذا الخصوص.

لقد حان الوقت لندرك أن قوة خصومنا تنبع ـ في جزء منها على الأقل ـ من المشاعر التي تشبه تلك التي حركت الحرب الثورية الأميركية والثورة الفرنسية. وهي تتمثل في مشاعر الإحباط من النظام السائد والانسلاخ عنه. فقد أصبح الناس العاديون مقتنعين في المستعمرات الأميركية أو الخاضعة لبريطانيا قبل عام 1776، وفرنسا في السنوات التي سبقت عام 1789، أن حياتهم وممتلكاتهم وأعمالهم خضعت لفترة طويلة لسطوة الحكام المتعسّفين. وهناك إحساس بالقطيعة نفسها هذه الأيام في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا.

بدأ «الربيع العربي» عندما أحرق بائع تونسي فقير، محمد بوعزيزي، نفسه في كانون الأول من عام 2010، للاحتجاج على الاستيلاء عديم الرحمة على تجارته. وقد انتحر محمد ـ كما أخبرني شقيقه سالم في مقابلة مسجلة لقناة تلفزيونية أميركية عامة ـ من أجل حق الفقراء في البيع والشراء.

وخلال 60 يوماً من وفاة محمد بوعزيزي، حشدت رسالته العالم العربي، وقام 63 تاجراً صغيراً آخرين في الشرق الأوسط بتكرار ما فعله وأحرقوا أنفسهم، ما جعل مئات الملايين من العرب يتظاهرون ويُسقطون أربع حكومات. وما تزال قوة غضبهم مستمرة في زعزعة الاستقرار في المنطقة بكاملها.

لم يستوعب الغرب هذه الرسالة. وكالعادة، ركّز على الإصلاحات في الاقتصاد الكلّي والمساعدة الفنية ـ حتى أنه فشل في النظر في حقوق الملكية للغالبية الفقيرة. وهذه مشكلة قديمة. فبدلاً من أن يتذكر الغربيون أن حقوق الملكية هي التي حرّرت مجتمعاتهم من فتوّات السيادة، يعتقد الغربيون الذين يميليون إلى اليسار بأن حماية الملكية هي عقيدة يمينية. وينظر المحافظون إلى حقوق الملكية القانونية على أنها من المسلّمات. ويربطها الاقتصاديون بالصفقات العقارية والتجارة.

لقد أدّى فشل الغرب في تشجيع الحكومات العربية على تأسيس حقوق ملكية مواطنيها وحمايتها وتعزيزها (وتزويدهم بالوسائل)، إلى خلق فراغ شغله القوميون الرومنسيون في المنطقة، وفروعهم الإرهابية. وهم يقومون الآن بإرسال جنودهم إلى أوروبا. وبطبيعة الحال، لن يستطيع هؤلاء المتعصّبون تحسين مستويات معيشة الفقراء، كما يظهر الحكم الوحشي لما يطلق عليه اسم تنظيم «داعش» في «خلافته» التي أعلنها بشكل فردي. ولكن، في بيئة تعاني من الحرمان والإحباط، فإن أولئك الذين يقدّمون وعوداً زائفة يجذبون الأتباع بسهولة.

كم من الوقت يحتاج الغرب حتى يتذكر أن الرأسمالية الديمقراطية تتطلب حقوق ملكية قوية من أجل وضع حدود واضحة لا تستطيع الدولة تجاوزها؟ مثل الكون المضطرب وجميع المساحات المفتوحة، فإن السوق العالمية هي مكان مضطرب مع وجود احترام قليل للحياة. وتنشأ جميع الأنظمة الحيوية ـ سواء كانت الأنظمة الطبيعية أو التي يرتبها الإنسان ـ وتعمل فقط في مساحات مغلقة. وسواء كنا نتحدث عن خلايا الجسم أو جزئياته أو أعضائه، أو أجهزة الحاسوب أو المجموعات الاجتماعية، فإن كلاً منها يظل مقيداً ضمن حدود: الغشاء أو البشرة أو الجدار أو الحق القانوني.

ضمن حدود أجسامنا، تتم إدامة هياكل معقدة متعددة الخلايا عن طريق إنتاج جزئيات تتحقق من وجود تعاون وتبادل المعلومات بين الخلايا، في عملية تدعى «التآشير». ويمكن أن يؤدّي أيّ ضعف في هذه العملية إلى اضطرابات مثل السرطان. ولو انفصلت بعض الخلايا عن الخلايا الأخرى أو المصفوفة المحيطة، فإنها عادة ما تموت خلال فترة قصيرة، وهي عملية تدعى «آنويكيس»، أو «التشرّد» باللغة اليونانية.

سيكون القادر على إنها «آنويكيس» في الشرق الأوسط الكبير هو المنتصر في الحرب على الإرهاب. ولهذا السبب، يتوجب على الغرب وحلفائه مساعدة 80 في المئة من السكان الذين يعتمد بقاؤهم على الحدود اللازمة لحمايتهم وحماية أصولهم (حقوق الملكية والشركات محدودة المسؤولية). وهم يحتاجون إلى آليات التأشير من أجل اكتشاف الخطر (سجلات وأنظمة تتبع، والتي تأتي من تسجيل الأصول والشركات). كما يحتاجون إلى جزئيات الالتصاق من أجل التواصل مع الآخرين، وبناء تركيبات معقدة وقيمة بشكل متزايد (عقود يمكن تطبيقها قانونياً)، كما يحتاجون إلى القدرة على استخدام الأصول في ضمان الائتمان وخلق رأس المال (الأسهم والأوراق المالية من أجل تقسيم وتوسيع ورهن الممتلكات). وإلا فإن القوى العسكرية المشتركة لأوروبا والولايات المتحدة الأميركية ـ والآن روسيا ـ لن تربح أيّ شيء.

إذا أراد هولاند والرئيس الأميركي المقبل وحلفاؤهما العرب وقف الإرهاب، فإن عليهما مساعدة حكومات الشرق الأوسط والضغط عليها من أجل تقديم الحماية لشعوبها، وهي الحماية التي ستعزّز إمكاناتهم للازدهار على قدم المساواة في السوق العالمية. وكان هذا هو ما فعلته الثورات الأميركية والفرنسية، والذي يعدّ أضمن طريقة لحرمان المتطرّفين من الجاذبية التي تساعدهم في البقاء.

* رئيس «معهد الحرّية والديمقراطية»